



## على هامش السياسة

تأليف الدكتور حافظ عفيفي باشا

للأستاذ محمد سعيد العريان

—>>><<<—

على هامش السياسة . هكذا يسميه سعادة مؤلفه الكبير ، تواضعاً وعزوفاً عن التعاطف بالألقاب والأسامي ، تسمية متواضعة إن دلت على شيء في موضعها فإنما تدل على خلق المؤلف وطبعه ، لكنها لا تدل على الموضوع الهام الذي يتناوله الكتاب . ولقد كان أقرب دلالة على موضوعه أن يسميه « في صميم السياسة » فليست السياسة هي هذا التلاحن الحزبي الذي نشهده في اجتماعات الأحزاب السياسية ، والتراشق بالتهم والسياب الذي نقرؤه في مختلف الصحف الحزبية ؛ وليست السياسة هي هذه المظاهرات التي تزعج بها الشوارع وتضج بالهتاف لفلان وفلان من رجال الحكم والسياسة . إنما السياسة حكمة وتديير ونظريه ، وتفكير فيما يمود على الأمة أفراداً وجماعات بالخير ...

إن لكل أمة هدفاً تسعى إليه ، ولكن هذه الأهداف جميعها تلتقي في كل أمة عند معنى واحد ، هو التقدم بالأمة والسمو بها إلى أقصى ما يمكن أن تصل إليه ، والرقى بالشعب إلى المستوى اللائق به في العلم والثقافة ، وفي الصحة العامة ، وفي شئون الاقتصاد ... ولقد مضى على المصريين فترة غير قليلة وهم يجاهدون إلى غاية من غايات الشعوب الحرة ، هي الظفر بالاستقلال . وقد طالت هذه الفترة والمصريون في جهادهم ، وتنوعت أساليب الكفاح والمقاومة ، حتى نسي المصريون ما وراء هذه الغاية ، إذ كان جهادهم للاستقلال وحده ، وطالت بهم الشقة حتى أوشك كثير منهم أن يوقنوا — سلباً أو إيجاباً — إن الاستقلال في ذاته

غاية ، فلما أذن الله أن تصل الأمة إلى هذه الغاية بعد طول الجهاد ، أحس الشعب بشيء من القلق السياسي ، وتوزعت خواطر الناس شئون وشجون ؛ أما طائفة فقالت — وهي الأكثرية من الشعب — : وماذا أفدنا من الاستقلال ؟ وماذا حصلنا بعد هذا الجهاد الذي أريق فيه الدماء ، وبذلت فيه الضحايا ، وتحملنا فيه ما تحملنا من العنف والمشقة ؟ ... وأوشكت هذه الطائفة أن تكفر بعد إيمان ، وتعتقد أن ما بذلت في ساحة الجهاد منذ سنين وسنين لم يكن إلا عبثاً وجهداً بغير ثمرة ...

وأما طائفة — وهم المؤمنون بحق هذه الأمة في الحياة — فقد بدت صرايهم منهم ، وانبسبت رقعة الأمل أمامهم ، فقالوا لأنفسهم : ها نحن أولاء قد اجتزنا الدرب الشائك ، ووقفنا على أول الطريق الذي يصل إلى المجد ويبلغ بنا سراق السعادة ... وأعدت أهبنا للجهاد إلى هدف جديد ... فلم يكن ينقصها إلا الرائد الجري الذي ترسم خطاه في هذا الطريق . وكان هذا الرائد هو مؤلف كتاب « على هامش السياسة »

\*\*\*

على هامش السياسة كتاب تناول به مؤلفه أهم مسائلنا القومية في الوقت الحاضر ، بأسلوب العالم المهادي المزن الفكر ، فوصفها وصفاً صادقاً ليس فيه مبالغة ولا إغراق ، ثم بين أسبابها وعللها ووسائل علاجها على ما هداه البحث . وتناخص هذه المسائل في أربعة أبواب : الصحة العامة ، والتعليم ، ومسائلنا المالية ، وسياستنا الاقتصادية

وقد تناول هذه الأبواب الأربعة تقسم كل واحد منها إلى فصول ، تقسماً منطقياً واضح الأداء ، بحيث لا يكاد يفرغ قارئه من قراءته حتى يكون قد ألم بموضوعه إلاماً لا يدعه في حاجة إلى سؤال ؛ كما أننا نتحدث عن كل طائفة وفي كل مسألة واحد من أهلها ، فلا تفوته صغيرة أو كبيرة من مشاكلها وأمانها وإذا نحن قررنا أن هذه الأبواب الأربعة مما لا تتأني دراستها

ليس هذا فقط هو شأن هذا الكتاب ، ولكن فيه شئوننا  
أخرى تستحق الملاحظة والتعميق ؛ فقد تعودنا وتعود الناس  
جميعاً ألا يروا ما تقع عليه أعينهم صرات متكررة في كل زمان  
ومكان ؛ إذ كان الألف والمادة في المشاهدة مما يحملان على الغفلة  
والتماعى ؛ فلن نجد كثيراً من الناس يعنون بالبحث والتدقيق في  
شأن ألفوه إلف المادة ورأوه بأعينهم عشرات المرات حتى صاروا  
يعرون به فلا يحسون وجوده ، ولكن الشيء الذى يسترعى  
الملاحظة ويبعث على التحرى والتدقيق وتكرار النظر ، هو الشيء  
الغريب الذى تشاهده العين أول مشاهدة ... فنحن مثلاً نعرف  
فلاحينا وأحوالهم ومعايشهم ، وما منا إلا من عرف قليلاً أو كثيراً  
عن القرية المصرية وشئون أهلها ، ولكن قليلاً منا من فكر  
في شئون هؤلاء الفلاحين أو نظر إليهم نظر الانسان إلى أهله :  
بتعرف آلامهم ويفكر في سعادتهم ... ومثل هذا الشأن شئون  
كثيرة في حياتنا ، تسترعى اهتمام الأجانب والقرباء الذين يحلون  
بيننا ضيوفاً كل عام ولا تثير أقل انتباه فينا ، إذ كان هذا مما ألفنا  
أن نراه أو نسمع به ، حتى أورتنا هذا الإلف بلادة في الملاحظة ،  
فنمر به عمياناً أو كالمعميان ...

لذلك كان من عجائب هذا الكتاب أن نرى واحداً منا يمشد  
كل هذه المسائل في كتابه ويتناولها بالبحث والتدقيق والملاحظة  
على هذا النحو البديع الذى تناولها به الدكتور حافظ عفيفى باشا  
في كتابه ...

والحقيقة أن قارىء هذا الكتاب ليجد فيه أشياء كثيرة تدعوه  
إلى العجب والاعجاب ، وأشياء أخرى جديدة بأن تحمله على الفكر  
وإنعام النظر إلى مدى بسيد ...  
ومن يدري ؟ فقد يكون مما يتحدث به التاريخ غداً حين  
يذكر هذه الفترة في الحياة المصرية ، أن كتاباً ألفه الدكتور  
حافظ عفيفى باشا ، كان هو الارهاص الأول لهضة الاصلاح  
في مصر المستقلة ؛ ورب كتاب ألفه مؤلفه لغير التاريخ فكان  
هو نفسه فصلاً من فصول التاريخ ...

محمد سعيد الصريان

\*\*\*

صافت صفحة الكتب عن نثر كل ما كان معداً لها ؛ فالى الأعداد القادمة

بجتمعة على هذا الأسلوب لشخص واحد إلا إذا قُدِّر له أن يكون  
متخصصاً — عرفنا مقدار الجهد الذى بذله المؤلف حتى انتهى  
بؤلفه إلى هذه الغاية من الكمال . وحمدنا له ما بذله من جهد  
وتضحية . وما لى طاقة في هذا الحيز الضيق من الكلام أن يتحدث  
عن كل واحدة من هذه المسائل بذاتها ؛ إذ كان ذلك مما تضييق  
به صفحات الرسالة ؛ وإذ كانت كل مسألة من هذه المسائل في  
حاجة إلى عناية في المرض والتعليق لا تجزى فيها سطور  
وإننا لننمط هذا الكتاب حقه بأن نسميه كتاباً ؛ فما هو  
إلا مصر الحديثة كلها في مشاكلها وأمانها ؛ وما ينبى أن نقرأه  
على أنه كتاب فيه ما في الكتب من رأى صاحبه مما قد يلد  
أو يفيد ؛ ولكنه مجموع المسائل التى تشغل أفكار الطبقة المثقفة  
من المصريين عامة . ولستنا نتلو في تقدير هذا الكتاب إذا قلنا  
إنه ينبى على القارئين بشئون الحكم في مصر جميعاً أن يقرءوه  
ليعرفوا كثيراً مما فاتهم إلى اليوم أن يعرفوه من واجبات الحاكم  
المصلح . على أنه في جلته — على وقائه بما وُضع له — ليس إلا  
تنبيهاً إلى الكتاب ورجال الفكر جميعاً أن يتناولوا مسائله بحثاً  
وتحقيقاً ودراسة ؛ فذلك هو الوقت الذى ينبى أن ترسم مصر  
فيه لنفسه دستوراً قومياً تسير على نهجه إلى الغاية المأمولة في  
السعادة والمجد ، وهذا الكتاب هو فاتحة البحث المنتج في هذا  
الموضوع ...

\*\*\*

ذلك عرض موجز لموضوع هذا الكتاب القيم ، لا يُعرف  
به كل التعريف ولكنه يدل عليه بمض الدلالة . وإنه لمعجب  
في بلادنا أى عجيب أن يكون من رجال الحكم والسياسة في مصر  
من يرصد وقتة لثل هذا البحث والدرس والاستقصاء في شئون  
لا تعود عليه في خاصة نفسه بالفائدة المأجلة ؛ وإن أعجب منه أن  
يكون من هؤلاء الزعماء السياسيين عالم أو مؤلف أو أديب له فكر  
وبيان ومعرفة ؛ وأعجب من هذين أن يكون بحته ودرسه  
واستقصاؤه في شئون الطبقات الدنيا من الشعب بحيث يفهم درسه  
على ما فهم سواد الناس ويكشف عن آلامهم وأمانى أنفسهم ...  
ولكن هذه العجائب الثلاثة قد اجتمعت لسعادة الدكتور

حافظ عفيفى باشا في مؤلفه القيم « على هامش السياسة »

\*\*\*